جهود مؤرخو المغرب الإسلامي في الكتابات التاريخية للخصائص النبوية أبن دحية الكلبي (ت633هـ/1235م) أنموذجاً

The Efforts of Historians of the Islamic Maghreb in Historical Writing in the Prophetic Characteristics: Ibn Dahia al-Kalbi as an Example (633 AH / 1235 AD)

الباحثة: سهاد نصيف جاسم [1]

Researcher: Suhad Nassif Jassim[1]

E-mail: Suhad.n@uosamarra.edu.iq

أ.د عبد الجبار محسن عباس[2]

Prof. Dr. Abdul Jabbar Mohsen Abbas [2]

E-mail: Abduljabbar.m@uosamarra.edu.iq

جامعة سامراء/كلية التربية [1][2]

University of Samarra \ College of Education [1][2]

الكلمات المفتاحية: الخصـــائص، الغنيمة والفيء، ذو النســـبين الابتهاج في احاديث المعراج، الصدقة.

Keywords: Characteristics, subjects and sections, booty and fay, two-lineage jubilation in the hadiths of Mi'raj, charity, with their names.

الملخص

يعد الموضوع الخصائص النبوية من المواضيع المهمة في السيرة النبوية وأنه فرع أصيل من فروع السيرة النبوية، نتعرف من خلاله على ما تميز وتفضل به الرسول عن غيره من أمته، خطة البحث تتكون من مبحثين تضمن المبحث الاول: تعريف على الخصائص النبوية وبداية نشوئه، والمبحث الثاني تضمن جهود ابن دحية الكلبي في الخصائص النبوية الذي ألف كتاب بعنوان ((نهاية السؤل في خصائص الرسول محمد (ﷺ))).

Abstract

The subject of the Prophet's characteristics is one of the important topics in the biography of the Prophet, and it is an authentic branch of the Prophet's biography, through which we learn about what distinguished and favored the Prophet over others from his nation. It included the efforts of Ibn Dihya al-Kalbi in the characteristics of the Prophet, who wrote a book entitled The End of the Question in the Characteristics of the Messenger Muhammad (peace be upon him)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على سيد المرسلين نبينا محمد (ﷺ) وعلى اله واصحابه اجمعين وبعد.

يعد موضـوع الخصـائص النبوية من الموضـوعات المهمة في السـيرة النبوية، وأنه فرع أصيل من علوم السيرة النبوية، أهمية الموضوع تكمن في أهمية الخصائص النبوية التي تستطيع من خلالها معرفة ما تميز وتفضـل به الرسـول (ﷺ) عن أمته والانبياء من قبله، وبعد اختيار موضوع البحث فقد تضمنت خطة البحث بتقسيمه الى مبحثين.

تناول المبحث الأول: تعريف علم الخصـائص النبوية ونشـوئه وبداية التصـنيف به، اما **المبحث الثاني** فتناول جهود أحد أعلام مؤرخي المغرب الإسـلامي هو أبو الخطاب بن دحية الكلبي (633هـ/ 1235م) وتأليفه لكتابه ((نهاية السـؤل في خصـائص الرسـول (ﷺ))) وتم الاعتماد على كتب الصحاح وخاصة كتب صحيح مسلم والبخاري في انجاز البحث إضافة الى المصـادر الأخرى عند الترجمة لحياة المؤلف في كتابه ((نهاية السـؤل في خصـائص الرسول(ﷺ)).

المبحث الاول: تعريف علم الخصائص النبوية ونشؤه والتصنيف به.

1: تعريف الخصائص النبوية.

الخصائص لغة: خصه بالشيء يخصه خصاً، واختصهُ: أفرده به دون غيره ويقال: أختص فلان بالأمر تخصص له إذا انفرد[1]، وخصوصية الشيء وخاصيته، والخصيصة: هي الصفة التي تميز الشيء وتحدده، والجمع خصائص، محوره يدور حول الانفراد- والفضل والتميز.[2]

واصطلاحاً: هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي (ﷺ) وامتاز بها عن إخوته من الأنبياء، وعن سائر البشر من أمته[3]، ومن الناحية التشريعية والتفضيلية.[4]

2: التصنيف في الخصائص النبوية.

أول من كتب عن الخصائص النبوية هو الامام الشافعي (ت 204هـ/ 820م) في كلام منثور وسط مصنفاته المختلفة، ومن أبرزها كتابه الأم.[5]

وتبعه أبو العباس احمد بن القاص (ت 335هـ/ 945م)، وأبو بكر البيهقي (458هـ/ 1066)9.[6]

اختلفت الآراء حول أول من صنف في الخصائص النبوية، فيذكر ان ابن الجوزي (ت597هـ/ 1201م)، هو أول من صنف في موضوع الخصائص النبوية، ثم تبعه العز بن عبد السلام (ت660هـ/ 1262م) في كتابه ((بداية السؤل في تفضيل الرسول))[7].

يتضح من الآراء السابقة أن التأليف في الخصائص النبوية ظهر في بداية أمره بشكل أبواب أو فصول في المؤلفات الفقهية كما في كتاب الأم للشافعي، ثم أخذ الاستقلالية في التأليف خلال القرون المتأخرة.

تذكر المصادر ان أول من صنف في الخصائص النبوية تصنيفاً مستقلاً في المغرب الإسلامي هو الامام ((أبن دحية الكلبي))[8] (ت 633هـ/ 1235م) وكتابه ((نهاية السُؤل في خصائص الرسول))، ويعد علم الخصائص فرعاً أصيلاً من علوم السيرة النبوية العطرة، وبالرغم من كون الخصائص موجودة في كتب الحديث والكتب الفقهية[9]، إلا أن وجوده كعلم مستقل بجميع خصائصه، يعد تطوراً جديداً في كتابة السيرة النبوية، وان ثمرات دراسة الخصائص والتصنيف فيها هو معرفة المنزلة الشريفة للنبي (ﷺ) وما أخصه الله من خصائص وفضائل عن أمته وعن باقي الأنبياء عليهم السلام، والعلم بما اختص به النبي (ﷺ) من أحكام[10]، ان دراسة الخصائص يساعد على التعرف على الصحيح من تلك الخصائص، (ﷺ) بالقياسات التي تناط بها الأحكام العامة من الناس، ولكن الواجب هو الالتزام بما جاء به الشرع الرباني من غير المزيد عليه فيما يخص الخصائص النبوية.[11]

3: مواضيع وأقسام كتب الخصائص النبوية.

تنقسم الخصائص إلى نوعين هما: التشريعية، والتفضيلية، أما التشريعية: فهي ما اختص بها النبي (ﷺ) دون غيره من الأنبياء، أما الخصـائص التفضـيلية: فهي الفضـائل التي كرمه الله بها دون غيره، وقد يشاركه في بعضها الأنبياء دون البشر.[12]

أما عن مضـامين موضـوعات الخصـائص النبوية وفق التقسـيم الفقهي للعلماء وأحكامه، وهي الواجبات، والمباحات، والمحظورات والكرامات[13]، وأضـاف ابن طولون (953هـ/ 1546م) أقساماً أخرى مثل ما اختص به (ﷺ) في ذاته في الدنيا والآخرة[14].

عُدت أبواباً وفصـولاً واسـعة عن خصـائص النبي محمد (ﷺ) نذكر بعضـها وفقاً للتقسـيم الموضوعي لها، تكون فكرة واضحة عن تلك الخصائص التي تميز بها الرسول (ﷺ) دون غيره.

فمن الواجبات التي اختص بها النبي (ﷺ) عن أمته صـــلاة الضـــحى، وورد عن النبي (ﷺ) قوله: ((أمرت بركعتي الضحى ولم تكتب عليكم))[15]، ووجوب الأضحية عليه بقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[16]، ووجوب الوتر عليه (ﷺ) وقال النبي (ﷺ): ((ثلاث هن علي فرائض ولكم سُـنة الوتر والسـواك وقيام الليل والتهجد))[17]، بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[18]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾[19].

وما اختص به (ﷺ) من المحرمات هو تحريم الصـــدقة عليه، فقد روي أن الحســـن بن علي (رضـي الله عنهما) أخذ تمرة من تمر الصـدقة فجعلها في فيه فقال له الرسول (ﷺ) كخ كخ ليطرحها: ((ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ولا تحل لنا)).[20]

واختص الرسـول (ﷺ) بتحريم أكل ما تؤذي رائحته من البقول كالثوم والبصـل والكراث، وقد قال الرسول (ﷺ): ((من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزل مسجدنا، ويقعد في بيته))[21].

واختص الرسـول (ﷺ) بتحريم الأكل متكئاً في أحد الوجهين وقال الرسـول (ﷺ): ((أنا لا آكل وأنا متكئ))[22] .

واختص الرسول (ﷺ) بتحريم مد العين إلى ما متع به الناس وجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ۝١٣١ ﴾[23].

ومن خصـائصـه أيضـاً تحريم الاغارة على الكفار إذا سـمع التكبير وكان لا يقبل هدية مشرك ولا يستعين به ولا شهد على جور.[24]

واختص الرســـول (ﷺ) بإباحة ماله، فلا يورث عنه، وجاء عنه (ﷺ): ((نحن معاشـــر الأنبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة))[25].

واختص (ﷺ) بإباحة الحمى[26] لنفسه فقال (ﷺ): ((لا حمى إلا لله ورسوله))[27].

واختص (ﷺ) بأنه لا ينقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً بخلاف غيره، عن ابن عباس قال: ((بت عند ميمونة والنبي (ﷺ) عندها تلك الليلة فتوضأ رسول الله (ﷺ) ثم قام فصلى فقمت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه، فصلى في تلك الليلة ثلاث عشرة ركعة ثم نام رسول الله (ﷺ) حتى غط ونفخ، ثم آتاه المؤذن فخرج فصلى ولم يتوضأ))[28].

واختص الرسول (ﷺ) بإباحة الجمع له بين أكثر من أربعة نسوة، وقال (ﷺ): ((حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجُعلتْ قرة عيني في الصلاة)) [29].

أما المباحات (المراد بها ما لا حرج في فعلها ولا في تركها) التي اختص بها الرسول (ﷺ) فمنها إباحة الوصال له (ﷺ) في الصوم، وروي عنه (ﷺ) قوله: ((لا تواصلوا))، فقالوا: إنك تواصل، قال (ﷺ): ((لست كأحد منكم، إني أبيت أطعم وأسقى))[30].

واختص الرسول (ﷺ)، بإباحة بالخمس من الغنيمة[31] والفيء[32]، وجاء في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[33].

واختص (ﷺ) بإباحة دخول مكة بغير إحرام، قال ((ان الرسول (ﷺ) دخل مكة يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام)).[34]

أما خصائص الرسول (ﷺ) في الفضائل والكرامات، منها ما يخص زوجاته، وهي تحريم زوجاته التي توفي عنهن على غيره أبداً، واختص الرسول (ﷺ) بتفضيل زوجاته على سائل النساء، وجاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[35].

وما اختص به (ﷺ) من الشرع لأمته في الدنيا، اختص بإحلال الغنائم وجعل الأرض كلها مسجداً، والصلوات الخمس كفارات لما بينهن إذ اجتنبت الكبائر، وقصر الصلاة في السفر والجمع بينها في السفر، وليلة القدر وصوم عرفة كفارة سنتين[36]، وخص الله سبحانه وتعالى أمه محمد بثلاث أشياء لم يعطها لغيرهم، الاسناد والانساب والإعراب.[37]

وما اختص به الرسول (ﷺ) في ذاته في الآخرة، بأنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك، ويحشر على البراق، ويؤذن باسمه في الموقف يقوم عن يمين.[38]

ومن خصائص أمه محمد (ﷺ) في الآخرة، هو أن يأتون يوم القيامة غراً مُحجلين من آثار الوضوء، ويقضي لهم قبل الخلائق ويغفر لهم المُمحقات–الذنوب وهم أثقل الناس ميزاناً.[39]

من خلال البحث عن خصائص الرسول (ﷺ) يتضح أنه أستند في ذكرها على مصادر التشريع الاساسية وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وحرياً بنا أمة محمد (ﷺ) معرفة

خصـائص الرسـول (ﷺ) وجعلها وسـاماً وهوية للفرد المسـلم يتسـلح بها في مواجهة خصـمه من أصحاب الأهواء والبدع وغيرها.

كان لعلماء المغرب الاســـلامي الســـبق التاريخي في تصـــنيفهم للمؤلفات التي تناولت خصـائص الرسـول (ﷺ) وكان أول من صـنف فيها أبن الخطاب بن دحية الكلبي (ت 633هـ/ 1235م)، وكتابه نهاية السول في خصائص الرسول محمد (ﷺ)[40].

المبحث الثاني: جهود ابن دحية الكلبي في التأليف في الخصائص النبوية.

اولا: السيرة الذاتية.

1: اسمه ونسبه:

هو الامام الحافظ والعلامة الكبير عمر بن حســـن بن علي بن محمد، أبو الخطاب، بن فرج بن خلف السبتي، الملقب نفسه: ((ذو النسبين بن دحية والحسين))[41]، فيصل نسبه من أبيه إلى الصـحابي الجليل دحية الكلبي المدفون في أحد ضـواحي دمشق[42]، أما نسـبه من أمه يذكر أن أمه– أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام العلوي– فيصل نسبها بالإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).[43]

كان من أعيان العلماء ومشـاهير الفضـلاء، متقناً للحديث النبوي الشـريف وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشـعارها، كان مولده في مسـتهل سـنة (546هـ/ 1151م) في أحد ضواحي مدينة سبته المغربية.[44]

2: رحلاته العلمية.

رحل إلى العديد من المدن الاندلسـية والتقى بالعديد من علمائها وشـيوخها ودخل مراكش واجتمع بفضـلاء علمائها، ثم ارتحل إلى أفريقيا ومنها إلى الديار المصرية، ثم إلى الشام والمشرق والعراق، وخلال رحلته العلمية لطلب العلم اجتمع بعدد كبير من الشـــيوخ في المشـــرق والمغرب الاسلامي وأثرت جميع رحلاته في زيادة معرفته وعلمه بالحديث النبوي الشريف.[45]

أثناء رحلته إلى المشرق حظي بالاهتمام والعناية من قبل الدولة الايوبية، فقد رفعوا شـأنه وقربوا مكانته إليهم وجمعوا علماء الحديث وحضروا له مجلساً وأقروا له بالتقدم.

حدّث بتونس سـنة (595هـ/ 1199م)، ثم حج وكتب بالمشـرق عن جماعة بأصـبهان ونيسابور، وعاد إلى مصر، فاستأدبه الملك العادل لابنه الكامل وأسكنه القاهرة فنال دنيا عريقة، وزادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه إقبالاً عظيماً وكان يعظمه ويحترمه، ويتبرك به.[46]

اتهم مع فرط معرفته بالحديث وحفظه في النقل، وبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق على كتاب الشـــهاب، فعلق عليه بكتاب ذكر فيه أســـانيده، وبعد أيام قال له الكامل ضـــاع مني الكتاب علق لي غيره، فجاء بكتاب منافياً للأول فعلم الســـلطان حقيقة ما قيل عنه[47]، عزله

الكامل عن دار الحديث في القاهرة وجعل مكانه أخوه أبو عمر وهو أســـن منه كان عالماً للغة العربية. [48]

3: مصنفاته.

صنف أبو الخطاب عمر بن دحية السبتي مصنفات عديدة في شتى أنواع المعرفة، وقد أشاد به العديد من المؤرخين فقال ابن النجار: ((له كتب نفيسة))[49]، وقال الذهبي: ((له تواليف تشهد باطلاعه)) [50]، وقال المقري: ((صنف كتباً كثيرة مفيدة جداً)) [51].

ومن أشهر مؤلفاته:

- الابتهاج في أحاديث المعراج، تحدث فيه عن أحاديث المعراج وميز بين الصـــحيح والســـقيم منها. [52]
- الآيات البينات في ذكر في ما أعضاء رسول الله (ﷺ) من المعجزات [53]
- كتاب تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم. [54]
- التنوير في مولد السراج المنير.
- دليل المتحيرين. [55]
- سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب.
- علم المشهور في فوائد فضل الأيام والشهور. [56]
- مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين. [57]
- المستوفى في أسماء المصطفى.
- المطرب في أشعار أهل المغرب. [58]
- المنتخب في معجم الطبراني الكبير.
- النبراس في ذكر خلفاء بني العباس.
- نشر الدرر في فضل من تمسط بسنة سيد البشر. [59]

4: شيوخه.

تتلمذ أبو الخطاب على يد عدد كبير من الشيوخ الذين التقى بهم أثناء رحلته الطويلة في طلب العلم في المشرق والمغرب الإسلامي فسمع من أشهر علماء المغرب أمثال أبا القاسم بن بشكوال (578هـ/ 1183م) وأبا عبد الله بن زرقون (ت586هـ/ 1190م)، وأبا القاسم بن حبيش (ت584هـ/ 1188م) [60]، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين، وسمع بواسط من أبي جعفر الصـــيدلاني (ت 603هـ/ 1206م) [61]، وســـمع بمصـــر من البوصـــيري (ت 694هـ/ 1294م)، وطبقته، وسمع مسند الامام أحمد ومعجم الطبراني، وحفظ صحيح مسلم فكان يقرأه على شيوخه في المغرب فكتبه له جرحه وتعديله. [62]

وبعد الاطلاع على العديد من مؤلفات الحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي، نستطيع أن نقول أن أغلب مؤلفاته موضـــوعها في الســـيرة النبوية وتفرعاتها الكثيرة، لذلك يعد رائداً من رواد مدرسة السيرة النبوية في المغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري.

5: وفاته:

توفي أبو الخطاب في فجر ليلة الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (633هـ/ 1235م)، في القاهرة، ودفن بسفح المقطم، بعد أن عاش نيفاً وثمانين سنة. [63]

ثانياً: منهجه في كتاب نهاية السؤول في خصائص الرسول.

أ- دوافع التأليف:

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة حمد الله تعالى وأثنى عليه صـدقاً وعدلاً على وحيه الذي خص به النبي محمد (ﷺ) بخصـــائص ارتفعت بها درجاته وبهرت بها معجزاته، ووضـــحت آياته على آله وأصـــحابه الذين ثبتت سـمتهم في التوراة والانجيل،((فإني ذاكر في هذا الكتاب ما يسـر لي حفظه وعلمه، وقدر لي شـرحه وفهمه من خصـــائص رسـول الله (ﷺ) والتي لم تجتمع قبل في مخلوق، وكانت خصائصه أكثر من أن تحصى، فقد مدحه الله عز وجل في أكثر من موضع في محكم كتابه[64] ... فليفخر بهذا الكتاب من يأخذه عني إذ لا أعلم بالصـــحيح من الســـقيم مني، فهو بحر علم يلتطم بالكتاب والســـنة أمواجه، وتتقاذف بدرر الآداب[65] أثباجه، تنقل منه الآثار الصحيحة وتروى وتسقى من حياضه النيرة الشفاه الظامئة، فتتنافس فيه البلدان وتتعاطاه خراسان وبغدان، وتصغي إليه القلوب، وتسمع إليه الاذان وتردده الألسن استطابة كأنه الاذان)). [66]

يتضـــح مما ســـبق أن الدافع العلمي والرغبة في الحصـــول على الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، وحباً للرسول محمد (ﷺ) فقد جعل له مصنفاً فريداً ذكر فيه خصائص الرسول (ﷺ) التي لا تعد ولا تحصى.

وكان دافع الاعتزاز والافتخار بالنفس من دوافع التأليف التي صـــرح عنها في مقدمته، فيذكر أنه صنف كتاباً جامعاً لخصائص النبي (ﷺ) متبعاً ذكرها على مصادر التشريع الاساسي وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومما جعله يمتلك القدرة على تمييز الصحيح من السقيم من الأحاديث النبوية التي أوضحت خصائص الرسول (ﷺ).

ب-أقسام الكتاب:

صـنف ابن دحية الكلبي كتابه (نهاية السـؤل)) فجعله في ثلاثة أجزاء، جمعها في كتاب واحد، فمن المواضـيع التي تناولها في الجزء الأول، خصـائص الرسول (ﷺ) في نسـاءه من بعده وتحريمهن على غيره[67]، وتناول في خصائصه الذاتية مع ربه جل علاه، ومنها أقسم الله بحياته،

وناداه الله بالنبوة والرسالة، ووجوب تقديمه (ﷺ) على النفس واختتم الجزء بذكر الخصائص التي انفرد بها الرسول (ﷺ) عن بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام. [68]

أما الجزء الثاني فقد جعله متمم لبعض مواضيع الجزء الأول ومنها ما يتعلق بزوجات الرسول (ﷺ) مع ذكر الخصائص الواجبة التحريم عليه مثل الصدقة، وذكر في نهايته كرامة الرسول (ﷺ) وشجاعته وكرمه. [69]

أما الجزء الثالث فقد جعله لخصائص الرسول (ﷺ) الواجب عليه (ﷺ) ومنها قيام الليل. [70]

من الخصائص التي ذكرها ابن دحية في كتابه والتي تعد من الفضائل والكرامات للرسول (ﷺ) فقد ناداه الله جل علاه باسم في غاية الاجلال والرفعة[71]، واستدل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾[72].

ومن مميزات منهج ابن دحية الكلبي في ذكره للخصائص النبوية هو الاهتمام والعناية بالمعنى اللغوي للكلمة فنلاحظ أنه يذكر كلمة ((النبي) من حيث اللغة: وهي ما ارتفع من الأرض، واصطلاحاً: تعني الرفيع الشأن والعالي الأمر، واستدل على الرسم النحوي للكلمة بذكره شعر العباس بن مرداس[73] والذي جاء فيه:

يا خاتَمِ النُبَآءِ إنَّكَ مُرسَلٌ ... بِالحَقِّ كُلُّ هُدى السَبيلِ هُداكا
إنَّ الإلَهَ بَنى عَلَيكَ مَحَبَّةً ... في خَلقِهِ وَمُحَمَّداً سَمّاكا[74]

ونلاحظ أن المؤلف استشهد بالأبيات الشعرية عند تكلمه عن الخصائص النبوية وأنه استطاع توظيف الناحية اللغوية في طرحه للخصائص.

ومن الخصائص التي أوردها ابن دحية الكلبي في كتابه نهاية السول وفي باب فضائله أن الله سبحانه وتعالى أقسم بحياته وأن جميع بني آدم يقسمون بالله والله، وتالله، والله أقسم بحياته النبي محمد (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[75].

ومن منهجه أيضاً أنه بعد ذكره أحدى الخصائص يقوم بتوضيح الاعراب اللغوي للمفردة الغامضة لتوضيح فكرته التي يريد إيصالها فمثلاً في كلمة (لعمرك) اللام لام القسم، خبر الابتداء محذوف تقديره لعمرك قسمي، أو ما أقسم به، وحذف الدلالة الكلامية عليه. [76]

ومن الخصائص التي تفرد بها عن جميع الأنبياء، إذ أن جميع الأنبياء ناداهم الله سبحانه وتعالى بأسمائهم، فقال: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[77]، وقوله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾[78]، ونادى عبده محمد (ﷺ) بالرسالة والنبوة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ

ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [79]، وقوله أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[80].

ومن الخصـــائص التي انفرد بها النبي (ﷺ) عن الأنبياء، هو رؤيته لرب العزة في دار الدنيا، والشـفاعة والوسـيلة والدرجة الرفيعة والبراق والمعراج، وأعطاه جوامع الكلم، واحلال الغنائم له والنصـر على الكفر، وجعلت الأرض له مسـجداً وطهوراً، وختم به النبيون[81]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [82].

وروي عن الرســول (ﷺ) فقال: ((فضــلت على الأنبياء بســت أعطيت جوامع الكلم، ونصــرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مســجداً وطهوراً، وأرســلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)) [83].

ومن الخصـائص التي انفرد بها النبي (ﷺ) هو اختصـاص بالتيمم ولم يكن ذلك للأنبياء قبله، وكان اليهود يصلون حيث أدركتهم الصلاة، وكان المسيح يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة، فخص الله نبيه وصفيه (ﷺ) بالتيمم. [84]

ومن منهجه أيضــاً اهتمامه بتفســير الآيات القرآنية عند ذكرها التي توضــح خصــائص الرسول (ﷺ). ان اهتمامه بالتعبير اللغوي والتفسير القرآني دليلاً واضحاً على ما يمتلكه من سعة علمه ومعرفته في هذه الجوانب المهمة. [85]

ويؤخذ عليه أنه لم يراع تناسق أجزاء الكتاب من حيث عدد صفحات كل جزء فنلاحظ أن صـفحات الجزء الأول كثيرة تزيد عن مائتي صـفحة، بينما الجزء الثالث فلا تجاوز عدد صـفحاته خمسون صفحة. [86]

ويمكن ملاحظة أن عقلية المؤلف كان لها حضـوراً في صـفحات الكتاب وذلك من خلال ذكر آراءه اللغوية والنحوية عند ذكره لأي خاصية من خصائص الرسول (ﷺ) ويذكر ذلك بقوله: ((قال ذو النسبين ايده الله)) [87].

ان جمع أحاديث الرسول محمد (ﷺ) من كتب الصـحاح النبوية، وتصـنيفها في مصـنف مستقل يحوي خصـائص الرسول (ﷺ) وتقسم تلك الخصـائص تقسيماً فقهياً يعد تطوراً في كتابة السـيرة النبوية هو من ابداع مؤرخي المغرب والاندلس الإسـلامي الذين كانوا قد سـبقوا غيرهم من المؤرخين في التصنيف في الخصائص النبوية.

من حيث المنهج الاهتمام بالأحاديث الصــحيحة وتوظيفها في الحديث عن الخصــائص النبوية مع الاهتمام بإســناد تلك الاحاديث بعد تطوراً آخر في كتابة الســيرة النبوية من خلال موضوع الخصائص النبوية.

ويتضح مما سبق أن المؤلف ابن دحية الكلبي قد استقى موارده في تأليف كتابه عن الخصائص النبوية من مصادر التشريع الاساسية وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ان جمع الخصائص النبوية في مصنف مستقل يعد تطوراً رائداً في كتابة السيرة النبوية شهدْ مؤلفي المغرب الاسلامي، أهمية الكتاب تكمن في اعتماده على الأحاديث الصحيحة دون غيرها.

ان العودة إلى الاهتمام بأسناد الأحاديث عند ذكر الخصائص النبوية يعد تطوراً ايجابياً آخراً شهدته كتابات السيرة النبوية في المغرب الاسلامي، وخاصة في القرن السابع الهجري، وعلى عكس كتب اعلام النبوة والآيات التي لاحظنا عند دراستها تساهلاً واضحاً في ايرادهم للأحاديث الضعيفة والواهية.

الخاتمة ونتائج البحث:

- ظهور موضوع الخصائص النبوية في بداية الامر كان على شكل أبواب وفصول تم المؤلفات الفقهية ثم ظهر التصنيف المستقل فيها في القرون المتأخرة.
- ظهور التصنيف المستقبل لكتب الخصائص النبوية في القرون المتأخرة، وكان علماء المغرب الإسلامي السبق التاريخي في التأليف في تلك الخصائص النبوية.
- يعد المؤرخ أبو الخطاب بن دحية الكلبي (ت 633هـ/ 1235م) أحد أعلام مدرسة السيرة النبوية في المغرب الإسلامي وذلك من خلال عناوين مؤلفاته التي تخص مواضيع السيرة النبوية العطرة.
- منهج كتابة الخصائص النبوية يعتمد على مصادر التشريع الإسلامي وهي القران الكريم والحديث النبوية الشريف.
- ان الرجوع الى مصادر التشريع في كتابة الخصائص النبوية يعد تطوراً ايجابياً شهد التصنيف في السيرة النبوية، وخاصة بعد شيوع ظاهرة عدم الاهتمام بالإسناد للرواية في القرون المتأخرة.
- الاستشهاد بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية والاهتمام بالمعاني اللغوية للمفردات كانت من ضمن منهج كتابة الخصائص النبوية عند مؤرخي المغرب الإسلامي.

الهوامش والمصادر:

(1) الأزهري، محمد بن احمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة،ط1، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار الكتب العلمية– 2001 م)،ج2، ص369.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، ج2، ص396.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم(711هـ) لسان العرب، دار صادر، (بيروت–1984م)،ج7، ص24؛ الشحود، علي بن نايف، خصائص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ط1، دار المعمورة، (السعودية– 2009م)، ص4.

(4) الشحود، خصائص الرسول، ص5.

(5) الشافعي، أبو عبد الله محمود بن ادرس (ت204هـ)، الأم، ط1، دار المعرفة، (بيروت– 1990م)، ص8.

(6) دلائل النبوة، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت–1988م)،ج1، ص245.

(7) السلمي، العز بن عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ)، بداية السؤل في تفضيل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ط1، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الالباني، المكتب الاسلامي، (السعودية– 1981م)، ص18.

(8) ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص (ت 804هـ)، غاية السؤل في خصائص الرسول، ط1، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر، (بيروت– 1993م)، ج3، ص14.

(9) ابن الملقن، غاية السؤل في خصائص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ، ، ج3، ص9.

(10) الجويني، أبو المعالي عبد الله بن عبد الله (ت 478هـ)، نهاية المطلب في دراية المذهب، ط1، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، (بلا. ت، 2007م)، ج12، ص11.

(11) الجيوني، نهاية المطلب، ج12، ص11.

(12) ابن الملقن، غاية السؤل في خصائص الرسول، م3، ص16؛ المزروعي، ابراهيم بن عبد الله، خصائص النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمته، مقالات شبكة بينونة للعلوم الشرعية، (الامارات– 2018م)، ص3.

(13) ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي الصالحي (ت953هـ)، مرشد المختار إلى خصائص المختار، ط1، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (بيروت– 2007م)، ص37.

(14) ابن طولون، مرشد المختار، ص40.

(15) البخاري، محمد بن اسماعيل(ت256هـ) صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله وسننه وايامه، ط1، تحقيق:محمد زهير بن ناصر ،دار طوق النجاة،(بيروت–1422م)،ج2، ص57 رقم الحديث (11608).

(16) سورة الكوثر، الآية (2).

(17) النيسابوري، ابو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله (ت405 هـ) المستدرك على الصحيحين، ط1، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،(بيروت–1990م)،ج1، ص405، رقم الحديث (1119).

(18) سورة الاسراء، الآية (97).

(19) سورة المزمل، الآية (1–2).

(20) البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص74 رقم الحديث (3072).

(21) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص170، رقمه (855).

(22) البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص2062، رقمه (5084).
(23) سورة طه، الآية (131).
(24) ابن طولون، مرشد المختار، ص10.
(25) البخاري، صحيح البخاري، ج12، ص6، رقمه (6727).
(26) الحمى لغة: ما منع الناس عنه، واصطلاحا: ان يمنع الامام موضعاً لا يقع فيه التضيق على الناس وللحاجة العامة، ولذلك لماشية الصدقة والخيل التي يحملها. الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، (القاهرة – 2010م)، ص232.
(27) البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص44، رقمه (2370).
(28) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص238، رقمه (138).
(29) مسلم، صحيح مسلم، ج15، ص83؛ النيسابوري، المستدرك، ج3، ص241.
(30) البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص202، رقمه (1961)؛ مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري(ت261هـ)، صحيح مسلم، ط1، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث –(بيروت–1422هـ)ج7، ص214.
(31) الغنيمة: هي الأموال التي يحصل عليها المسلمون بالقتال من أرض أو مال وحكمها الخمس. الشافعي، الأم، ج4، ص181.
(32) الفيء: هي الأموال التي يحصل عليها المسلمون من المشركين بدون قتال، وتعد الغنيمة والفيء من الموارد المهمة لبيت المال. أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت182هـ)، الخراج، ط1، دار المعرفة، (بيروت– 1979م)، ص17.
(33) سورة الأنفال، الآية (41).
(34) مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص111، رقم الحديث (111).
(35) سورة الأحزاب، الآية (32).
(36) ابن طولون، مرشد المختار، ص242.
(37) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمرو(ت774هـ) البداية والنهاية، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، (مصر–1997م)،ج11، ص125.
(38) ابن طولون، مرشد المختار، ص248.
(39) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص39 رقمه (136).
(40) ابن دحية الكلبي، الامام مجد الدين أبي الخطاب (ت633هـ)، نهاية السؤل في خصائص الرسول، ط1، تحقيق: عبد الله عبد القادر الشيخ الفادتي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (قطر– 2002م)، ص7.
(41) الذهبي، شمس الدين عبد الله محمد بن احمد (ت748 هـ)، تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت–1998م)، ج4، ص142.
(42) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ دمشق،ط1 تحقيق: عمرو بن غرامة العموري، دار الفكر ،(بيروت–1995م)ج17، ص216.
(43) ابن النجار، أبو بكر الخطيب (ت643هـ)، ذيل تاريخ بغداد، ط1، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (المغرب– 2001م)، ج5، ص68.
(44) ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ) وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان،ط1،تحقيق:احسان

عباس ،دار صادر ،بيروت– 1994،م)، ج3، ص122.

(45) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص142.

(46) المقري، شهاب الدين أحمد محمد(ت1041هـ) نفح الطيب من عضن الاندلس الرطيب، ط1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت–1997 م)،ج1، ص301.

(47) الذهبي، شمس الدين عبد الله محمد بن احمد (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، ط3، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت–1985م)، ج22، ص389.

(48) ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد(ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر ومحمود الارناؤوط ، دار ابن كثير،(بيروت–1986م)ج7، ص280.

(49) ذيل تاريخ بغداد، ج5، ص68.

(50) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ،1، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت–1993م)،ج3، ص188.

(51) نفح الطيب، ج2، ص104.

(52) الحسني، عبد الله كنون، النبوغ العربي في الأدب المغربي، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت– 2015م)، ج1، ص195.

(53) ابن دحية الكلبي، ابو الخطاب عمرو بن حسن (ت633 هـ)، الآيات البينات في ذكر ما في اعضاء الرسول من معجزات، ط1 ، تحقيق: جمال عزون، مكتبة العمريين،،(الامارات–2000م)، ص15.

(54) الحسني، النبوغ المغربي، ج1، ص170.

(55) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص123؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص102.

(56) الحسني، النبوغ، ج1، ص171.

(57) المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك(ت703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ط1 ،تحقيق: احسان عباس واخرون، دار الغرب الاسلامي ،(تونس–2012م،ج8،ص218.

(58) ابن دحية الكلبي، ابو الخطاب عمرو بن حسن(ت633هـ) المطرب في أشعار أهل المغرب، ط1، تحقيق: ابراهيم الابياري واخرون، دار العلم، (بيروت–1993 م)،ج1، ص223.

(59) ابن دحية، المطرب في اشعار، ج1، ص223.

(60) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص123.

(61) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص346.

(62) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص216.

(63) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص346؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص216.

(64) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل في خصائص الرسول، ص32.

(65) درر الآداب: بمعنى اللآلي العظيمة. ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل في خصائص الرسول، ص32.

(66) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص36.

(67) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص36. (الجزء الأول من ص37).

(68) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص204– 279.

(69) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص287–371.

(70) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص423–505.

(71) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص49.

(72) سورة آل عمران، الآية (18).

(73) العباس بن مرداس: هو العباس بن مرداس السلمي، صحابي يكنى أبو الهيم، أمه الشاعرة الخنساء وهو من الشعراء المخضرمين أسلم قبيل فتح مكة، توفي في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة (18هـ/ 639م)، له ديوان شعر مطبوع. ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر(ت463 هـ)،الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ط1،تحقيق:علي البجاوي، دار الجيل،(بيروت –1992م)،ج2، ص817.

(74) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص49.

(75) سورة الحجر، الآية (72).

(76) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص39.

(77) سورة الأعراف، الآية (19).

(78) سورة هود، الآية (46).

(79) سورة المائدة، الآية (41).

(80) سورة التحريم، الآية (9).

(81) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص247.

(82) سورة سبأ، الآية (28).

(83) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ)، المسند المستخرج على صحيح الامام مسلم، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت– 1996م)، ج2، ص126؛ رقم الحديث (1153).

(84) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص213.

(85) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص250.

(86) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص505.

(87) ابن دحية الكلبي، نهاية السؤل، ص35.